ورب رأي حسن من اغتدى ۝ معتقدا عند الجهول مرتمن
من كذب الزرقاء قوم حبسوا ۝ مقالها الصادق وزورا افترى
سمت بعينيها إلى الجيش الذي ۝ تزرع الأشجار كيدا واكتسى
قالت ولم تكذب أرى مقبلة ۝ إليكم يا قوم أشجار الفلا
وأبصرت ما لم تخف عينها ۝ صورته في كف شخص فرضا
قالت أراه ناصحا أو آكلا ۝ لكتف الخصف على ما قد أتى
فصبحت ديارهم خيلهم ۝ بجحفل من عاث فيها وعثا

قوله ورب رأي حسن ما خوذ من قوله لا تضعوا الحكمة في غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ومنه قولهم لا يطاع لقصير أمر ومن تفرق في كره والخاصف خارز النعل يقال خصفت النعل أي خرزتها والمزدرا المحتقر وعاث أفسد وكذلك عثا يقال عثا يعثو وعثي يعثى ومنه قوله تعالى ولا تعثوا في الأرض مفسدين والجحفل الجيش ومن تقدم والزرقاء التي ذكرها هي زرقاء جو في ذكر زرقاء جو

واسمها اليمامة بنت مرة الطسمية وكان من حديثها أن طسما وجديسا وهما قبيلتان طسم بن لوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وجديس بن عامر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام كان منزلهما اليمامة تسمى ذلك الوقت جوا وكان الملك على القبيلتين ملك رجل من طسم يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شي عن هواه وكان الجديس في عناء من طسم وجديس أنه أتته امرأة يقال لها هزيلة بنت مازن وزوج لها من طلقها وكان أراد زوجها أن يأخذ منها ولدا كان لها منه فأبت عليه فارتفعا إلى عملوق ليحكم بينهما فقالت المراة أيها الملك إن ابني هذا حملته تسعا ووضعته دفعا وأرضعته سبعا ولم أنل منه نفعا حتى إذا تمت أوصاله واستوت فصاله أراد أن يسلبنيه قسرا ويأخذه مني قهرا ويتركني منه صفرا فقال زوجها قد أخذت المهر كاملا ولم أنل منه طائلا إلا ولدا جاهلا فافعل ما كنت فاعلا فأمر الملك أن يقبض الولد منهما ويجعل في غلمانه وأن يباع الرجل فيعطى المرأة عشر ثمنه وتباع المرأة فيعطى الرجل خمس ثمنها فقالت هزيلة أبغيه ولا أجزيه صبرا ولا تبكي بعد أجرا فقالت للملك أما النكاح فبالمهر وأما السفاح فبالقهر وما لك في واحد منهما أرب ثم أنشأت تقول شعر لها

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ۝ فأنفذ حكما في هزيلة ظالما
لعمري لقد حكمت لا متورعا ۝ ولا فيما عند الحكومة عالما
ندمت ولم أندم على ما تحرجت ۝ وأصبح زوجي حائر الرأي نادما

ويتركني منه

فلما أبلغ الملك قول هزيلة غضب وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتهدى إلى زوجها حتى يكون هو الذي يفتضها قبله فلقيت جديس من هذا الذل زمانا طويلا إلى أن تزوجت عفيرة بنت عفار الجديسية أخت الأسود بن عفار سيد جديس ومن قيل كان اسمها الشموس فلما كان ليلة أهديت إلى زوجها انطلق بها إلى عملوق ليفتضها على عادته ومعها القيان يغنين ويقلن

ابدي بعملوق وقومي واركبي ۝ وبادري الصبح بأمر معجب
فما لبكر بعدكم من مذهب

فلما افتضها وخلا سبيلها خرجت على قومها في دمائها شاقة عن جيبها وتقول

لا أحد أذل من جديس ۝ أهكذا يفعل بالعروس
يرضى بهذا يا لقومي حر ۝ أهدى وقد أعطى وسيق المهر
لأخذة الموت كذا بنفسه ۝ خير من أن يفعل ذا بعرسه

ثم قالت تحرض جديسا على طسم وأن يمضي إلى زوجها

أيصلح ما يؤتى إلى فتياتكم ۝ وأنتم رجال فيكم عدد الرمل
أيصلح تمشي في الدماء فتاتكم ۝ صبيحة زفت في النساء إلى البعل
فإن أنتم لم تغضبوا عند هذه ۝ فكونوا نساء لا تغبوا عن الكحل
ودونكم طيب العروس وإنما ۝ خلقتم لأثواب العروس وللغسل
فلو أننا كنا رجالا وكنتم ۝ نساء لكنا لا نقر على الذل
فقبحا وشيكا للذي ليس دافعا ۝ ويختال يمشي بيننا مشية الفحل
فموتوا كراما واصبروا لعدوكم ۝ بحرب تلظى بالضرام من الجزل
ولا تخذلوا أنفسكم وتحملوا ۝ البلى بل فخر وقول مع الهزل
ولا تجزعوا يا قوم للحرب إنما ۝ تقوم بأقوام كرام على رجل
فيهلك فيها كل نكس مواكل ۝ ويسلم فيها ذو النجابة والفضل

فلما سمعت جديس ذلك غضبت واجتمعت فقال لهم الأسود بن عفار وكان سيدهم ومطاعا فيهم يا معشر جديس أطيعوني فيما آمركم به فإنه عز الدهر وذهاب الذل قالوا وما ذاك قال إنكم قد علمتم أن طسما ليسوا بأعز منكم ولكن ملك صاحبهم عليكم وهو الذي يذعننا لهم بالطاعة ولولا ذلك ما كان لهم علينا من فضل ولو امتنعتم منهم لكان النصف فقالوا قد قبلنا ولكن القوم أكثر عددا منا وعدة فقال لهم لتطيعنني أو لأتكئن على سيفي حتى يخرج من ظهري فقالوا إنا نطيعك قال فإني صانع طعاما ثم أدعوهم إليه فإذا جاءوا وهم متفضلين في الحلل نهضنا إليهم بأسيافنا فإني قد أنا بملكهم ويتعدى كل